العمـل للإسـلام

٢/٦/١٤١٨هـ

إِنَّ الحَمْدَ ِللهنَحمَدُهُ ونَستَعينهُ ونَستَغفِرُهُ... أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ المُسلِمينَ:

إِنَّ الانتِماءَ إِلى الإِسلامِ مِن أَعظَمِ أَنواعِ التَّمَيُّزِ فِي هَذِهِ البَشَرِيَّةِ، ذَلِكَ لأَنَّهُ الدِّينُ الذِي ارتَضاهُ اُلله لِلنَّاسِ وَجَعَلَهُ أَعظَمَ نِعَمِهِ وَأَتَمَّها عَلَيهِم: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**} [المائدة: ٣].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وَيَزْدادُ شَرَفُ الانْتِمَاءِ إِلى هَذا الدِّينِ كُلَّمَا كَانَ المُسْلِمُ أَكْثَرَ احْتِراماً وَتَمثُّلاً لأَحْكامِهِ وَتَعاليمِهِ وَآدَابِهِ.

فَتَعاليمُ الإِسلاَمِ وَآدابُهِ تُكْسِبُ حَامِلَهَا سَعادَةً وَمَهابَةً وَوَقَاراً، وَكَيفَ لاَ يَكُونُ كَذلِكَ وَتِلْكَ التَعاليمُ وَالأَحْكَامُ تُهَذِّبُ العُقُولَ وَالجَوارِحَ وَالأَفْئِدَةَ؟

بَلْ تَتَسِعُ دَائِرَةُ النَّفْعِ حَتَّى يَكُونَ نَفعاً مُتَعَدياً، فَتَسُودَ المَحَبَةُ وَالوِئَامُ بَينَ أَفْرادِ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ، وَتَتَألَفَ قُلوبُهُم

فَيَصْدُقَ عَلَيْهِم بِذَلكَ الوَصْفُ النَبَويُّ: «**المؤْمِنُونَ كَالجَسَدِ الوَاحِدِ**».

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إِنَّ المُتَأَمِّلَ فِي مُجْتَمَعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنْهُم، وَتَكَاتُفِهِم فِيمَا بَينَهُمْ، وَاسْتِشْعارِ كُلِّ فَردٍ مِنْهُمْ بِمَسْؤُولِيَّتِهِ تجاهَ مُجْتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ، يَرى فِي أُولئِكَ البَرَرَةِ خَيرَ مِثالٍ يُحْتَذَى فِي عُلُوِّ هِمَّتِهِم وَصَادِقِ عَزيمَتِهِم، كَانُوا مِنْ خَيرِ المُجْتَمعَاتِ وَأَزْكَاهَا، تَمثَّلوا أَخْلاقَ الإِسلامِ وَتَعالِيمَهُ وَآدابَهُ فِي جَميعِ شُؤُونِهِم، كَانَ العَمَلُ لِلإِسْلامِ يُخَالِطُ شِغَافَ قُلوبِهِم، يُتَرجِمُ ذَلِكَ أَقْوالُهُمْ وَأَفْعالُهُمْ مَعَ خَاصَّةِ أَهْلِهِمْ وَأَفْرادِ مُجْتَمَعِهِمْ، يُؤْثِرُ الوَاحِدُ مِنْهُم أَخَاهُ وَلاَ يَسْتَأْثِرُ لِنَفْسِهِ، يَطْوِي أَحَدُهُم جَائِعَاً حَتَّى يَشْبَعَ أَخُوهُ، يَشْتَرِكُونَ فِي الآمَالِ وَالآلامِ، وَكَانَ مِنْ نَتيجَةِ ذَلِكَ أَنْ تَهَيأَ لَهُمْ مِنَ التَكاتُفِ وَالتَرابُطِ مَا يَنْدُرُ وُجُودُهُ فِي سَائِرِ

الُمجْتَمعَاتِ، فَنَعِمُوا بِالحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَقَوِيَتْ هَيبَتُهُم فِي نُفُوسِ أَعْدائِهِمْ.

وَكَانَ مِنْ أَعظَمِ الأَسْبابِ فِي ذَلِكَ -بَعْدَ فَضْلِ اِلله تَعَالَى- أَنَّهُمْ اسْتَشعَروا مَسْؤُولِيَّتِهُم تِجَاهَ مُجْتَمعِهِم وَأُمَّتِهِم، فَبَذلُوا الغَالِي وَالنَفيسَ وَآثروا وَلَمْ يَسْتَأثِروا، فَأَعْلَى اُلله شَأنَهُم وَرَفَعَ مَكَانَتَهُم وَقَدْرَهُم.

مَعاشِرَ الُمسلِمينَ:

إِنَّ مِنْ أَسْبابِ الضَّعْفِ الَّتِي تَنْخُرُ فِي أَسَاسِ الُمجْتَمَعِ: تَهَرُّبَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ مَسْؤُولِيَّاتِهِم تِجَاهَ الإِسْلامِ وَالُمسْلِمينَ، وَالاسْتِظْلالَ بِظِلالِ التَواكُلِ وَالتَّسْويفِ، حَتَّى تَعَطَّلَ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ خَيرٌ كَثِيرٌ، وَالعَجَبُ أَنَّ هَذا الخَلَلَ يقِلُّ أَو يَنْعَدِمُ عِنْدَ غَيرِ الُمسلِمينَ، فَبِنَظْرةٍ إِلَى تَكَاتُفِ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ البَاطِلَةِ وَالَمذاهِبِ الُمنْحَرِفَةِ يَرى المَرْءُ عَجَباً مِنْ قُوةِ تَكَاتُفِهِم وَشِدَّةِ تَرابُطِهِم فِي سَبيلِ نَشْرِ مَبادِئِهِم مَعَ اخْتِلافِهِم الُمتَباينِ فِي المَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالحَالِ، إِلاَ أَنَّ العَمَلَ لِمصَلحَةِ مَبادِئِهِم هُو المِحْوَرُ وَالُمرْتَكَزُ الذِي يَؤُمُّـهُ الجَميعُ.

شَاهِدُ المَقالِ: أَنَّهمْ مَعَ فَسادِ عَقائِدِهِم وَمَذاهِبِهِم إِلاَ أَنَّ قُوَّة دَعوَتِهِم لَهَا قَولاً وَعَملاً وَدَعماً مَكَّنَ لَهُمْ وَزَادَ مِنْ شَوكَتِهِم.

مَعَاشِرَ الُمسلِمينَ:

إِنَّ اسْتِشعَارَ الفَرْدِ الُمسْلِمِ مَسْؤُولِيَّتَهُ تجَاهَ أَفْرادِ مجُتْمَعِهِ مِنَ أعظَمِ خُطُواتِ البِنَاءِ فِي تَقْوِيَةِ أَسَاسِ الُمجْتَمَعِ.

وَعَلَى هَذا فَلْيَجْعلْ كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى نَفْسِهِ مَسْؤُولِيَّةَ العَمَلِ لِلإِسْلامِ بِكُلِّ مَا يَستَطيعُ مِنَ الوَسَائلِ وَالسُّبُلِ فَإِنَّ الجُهُودَ إِذا تَضَافَرتْ وَتَكاتَفَتْ، أَيْنعَتْ ثِمارُهَا وَآتَتْ أُكُلَهَا.

وَعَلى هَذا فَليَجْعَلْ كلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغورِ الإِسْلامِ: فَالُمعَلمُ يُمثِّلُ القُدوَةَ الحَسَنَةَ فِي أَخْلاقِهِ وَسَمتِهِ وَوَقارِهِ، وَالُموظَّفُ بِإِنْجازِهِ لِمُعامَلاتِ النَّاسِ بِأَحْسَنِ أَداءٍ وَأَسرعِهِ وَالتَّاجِرُ بِصِدقِهِ وَأَمانَتِهِ فِي بَيعِهِ وَشِرائِهِ وَدعْمِهِ لِمشارِيعِ الخَيرِ، وَهَكذا كُلٌّ يَتَمثَّلُ خُلقَ الإِسْلامِ فِي شَخْصِهِ وَمَنْطِقِهِ.

مَعَاشِرَ المُسلِمينَ:

وَلَيسَ العَملُ لِلإِسْلامِ مَقصُوراً عَلَى مَوقِعِ الشَخْصِ الوَظيفِيِّ، أَو فِي مَكانٍ مُعيَّنٍ أَو فِي زَمانٍ مُعينٍ، بَلْ يَجْعلُ الُمسْلمُ عَمَلهُ لِلإِسْلامِ مَنهَجاً لَهُ فِي جَميعِ حَياتِهِ فَيقَدِّمُ مَا يَستطَيعُ مِنْ نَفعٍ لِلمُسلمينَ، كَأمْرٍ بِمعروفٍ، وَنَهيٍ عَنْ مُنكَرٍ، وَشَفاعَةٍ لِمُحتَاجٍ، وَغَيْرِ ذَلكَ مِنْ أَعمَالِ الخَيرِ وَالبِرِّ.

عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعريِّ رَضِيَ اُلله تَعَالى عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلَ؟ قَالَ: «**فيعين ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**فَلْيَأمُرْ بِالخَيرِ - أَوْ قَالَ بِالْمَعْرُوفِ**» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، قَالَ: «**فَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ**»[1]. وَفِي لَفظٍ عِندَ أَحْمَدَ وَالنَّسائِي «**تَهْدِي الأَعْمَى وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَالأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**»[2] وَعَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنهُ قال: قَالَ رَسُولُ اِلله ﷺ:«**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوكَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**».

فَأبوابُ الخَيْرِ كثيرةٌ وَمُتَنوعَةٌ.

اللَّهُمَّ اطْرَحِ البَركَةَ فِي جَميعِ شُؤونِنَا.

واجعَل نَفعَنا مُتَعَديِّاً فِي حَياتِنا وَبَعدَ مَماتِنا.

* * *

---

(1) رواه البخاري (١٤٤٥) ومسلم بنحوه (١٠٠٨).

(2) رواه أحمد (٢١٤٨٤).

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِله...

مَعَاشِرَ المُسلِمينَ:

إِنَّ مِنْ أَسْبابِ التَقَاعُسِ احْتِقارَ الجُهْدِ إِنْ كَانَ يسيراً. وَهَذا مِنْ تَلبيسِ إِبْليسَ «فَلاَ تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْروفِ شَيئاً».

فَالجُهودُ اليَسيرةُ إِذَا تَكَاثَرتْ كَانَتْ عَظيمَةَ النَّفْعِ وَالأَثَرِ.

وَمِنْ أَسْبابِ التَقَاعُسِ أَيْضًا: ذِكْرُ مُصابِ الأُمَّةِ وَالتَثْريبُ عَلَى أَفْرادِهَا وَهَذا مِمَّا يَزيدُ المُجْتَمَعَ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ.

شَاهِدُ المَقَالِ: أَنَّ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ دُخولِ اليَأسِ، وَالتَقَاعُسِ عَنْ القِيامِ بِمَا يَسْتَطيعُهُ مِنْ تَقديمِ الخَيرِ لِلمُسْلمينَ، وَيَتأكَدُ هَذا فِي حَقِّ الدُّعاةِ وَالمُصْلِحينَ، فَعَليهِمْ أَنْ يَحْذَرُوا مِنْ دُخولِ اليَأسِ إِلَى قُلوبِهِم فِي حَالَةِ عَدَمِ قَبولِ دَعوَتِهِم.

فَوظيفَةُ الدَّاعِيَةِ أَنْ يبلِّغَ رِسَالَتَهُ، وَلَيسَ مِنْ شُروطِ ذَلِكَ أَنْ يَرَى ثِمَارَهَا.

عَلَى المرءِ أَنْ يَسْعَى إِلى الخَيْرِ جُهْدَهُ وَلَيْسَ عَلَيهِ أَنْ تَتِمَ المَقَاصِدُ

وَخَيرٌ مِنْ قَولُ الشَّاعِرِ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرأَيْتَ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلان، والنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»[٣].

فَإِذَا كَانَتْ دَعوةُ النَّبِيِّ قَدْ لاَ يَسْتَجيبُ لَهَا أَحَدٌ، فَأَيْنَ مَقَامُ النَّبِيِّ مِنْ مَقَامِ الدَّاعِيَةِ

ثُمَّ يُقالُ أَيْضاً: إِنَّ الإِصْلاحَ لاَ بُدَّ أَنْ يَكونَ مُنْطَلقاً مِنَ النُّصوصِ الشَّرْعِيَّةِ الصَحيحَةِ .

وَفِي المُقَابلِ: الحَذَرَ مِنَ ابْتِدَاعِ وَاسْتِحْسانِ طُرُقِ دَعَويَةٍ مَا أَنْزَلَ اُلله بِهَا مِنَ سُلطانٍ، فَخَيرُ الهَدْيِ هَديُ مُحُمدٍ ﷺ، وَلَو كَانَ مَا يُبْتَدعُ خَيراً لَسَبقُونَا إِلَيهِ.

وبِكُلِّ حَالٍ فعَلَى الدَّاعِيَةِ أَن يَكُونَ عَلَى عِلمٍ صَحيحٍ وَمَنْهَجٍ سَلِيمٍ، وَالذِي يَضمَنُ

---

(٣) رواه البخاري (٣٤١٠)، ومسلم (٢٢٠)

دَلِكَ لَهُ -بَعدَ تَوفيقِ اِلله تَعَالَى- طَلَبُ الْعِلمِ، وَقِراءَةُ سِيَرِ السَّلَفِ، وَمُجالَسَةُ الْعُلَمِاءِ وَسُؤالُهُم عَمَّا يُشكِلُ.

فَبِدَا وَذاكَ يَصلُحُ أَمرُهُ وَأَمرُ دَعوَتِهِ.

نَسأَلُ اَلله تَعَالَى أَن يَجعَلَنا جَميعاً مَفاتِيحَ لِلخَيرِ وَمَغالِيقَ لِلشَّرِّ.

اللَّهُمَّ أَصلِح أَحوالَ المُسْلِمينَ وَارزُقهُمُ البَصيرَةَ فِيما يُصلِحُ شُؤُونَهُم.

اللَّهُمَّ اجعَلنَا مِمَّن يَعمَلُ لِلإِسلامِ وَيَقولُ لِلإِسلامِ وَيَنفَعُ اُلله بِهِ المُسْلِمينَ .

اللَّهُمَّ وَفِّق وُلاةَ أُمورِنا إِلَى كُلِّ خَيرٍ، وَارزُقهُمُ البِطانَةَ الصَّالِحَةَ.

* * *